دور مياه الكُرد في تعريب محافظة كركوك

محمد عبدالله عمر
قسم الجغرافية/ كلية الآداب

المقدمة

أصبحت المياه في وقتنا الراهن ثروة لايمكن التقليل من أهميتها، لاسيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار محدودية المياه بالاخص العذبة منها والتي تستخدم بشكل مباشر في تلبية حاجات الإنسان اليومية، إضافة الى إحتياجات الزراعة وكذلك تربية الحيوان. وعلى مدى وفرة هذه المياه يتوقف النشاط الزراعي ومدى الإنتاج، وهناك أيضاً حاجة الصناعة للمياه والتي تختلف من صناعة لأخرى. ومع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي بدأت تظهر في الأفق مشاكل المياه وكيفية إقتسامها وإستغلالها كسلاح ستراتيجي لخدمة مصالح الدول، وكُردستان واحدة من هذه المناطق التي تحتوي ثروة مائية كبيرة لم تُستغل من قبل الشعب الكُردي نفسه، بل من قبل الدول المسيطرة على أراضيه. ولم تكلف الحكومات المركزية نفسها بانشاء أية مشاريع لخدمة مصالح أبناء الوطن الواحد، لاسيما في العراق، إذ نجد المياه الكُردية في كُردستان العراق لم تُستغل في خدمة اقتصاد كُردستان وابنائها، بل أن هذه المياه تعبر أراضي كُردستان فقط. بل أنها استغلت في تعريب المناطق الكُردية وفي مقدمتها مناطق كركوك. وقد ظلت المنطقة حتى فترة الستينات من القرن الماضي لاتحوي على سدود أو مشاريع سيطرة وخزن عدا خزاني دوكان ودربنديخان، وقد كان الهدف منهما هو تقليل أخطار الفيضان شتاء وتحويل المياه صيفاً الى الاراضي الزراعية في وسط وجنوب العراق. ثم أستُخدمت المياه الكُردية فيما بعد لخدمة مشاريع الصناعة التي أقامتها الحكومات العراقية المتعاقبة في وسط وجنوب العراق.

إن المياه الكُردية أخذت تُستخدم فيما بعد لتوطين العرب ضمن الاراضي الكُردية بشكل عام وضمن محافظة كركوك بشكل خاص، اخذت سياسة ترحيل الكُرد من أراضي آبائهم واجدادهم واحلال العرب بدلاً منهم في كركوك تأخذ طابعاً شمولياً واسعاً. وتستهدف بالتالي ايجاد عمق ستراتيجي للعرب في العراق على حساب الوجود القومي الكُردي. وبالفعل فقد تم ايصال المياه الكُردية الى تلك الاراضي التي استولى عليها الحكام العرب وتم توزيعها على المهاجرين لغرض تغيير الطابع القومي لهذه المحافظة الكُردية، كما استغلت هذه المياه الكُردية في مشاريع النفط التي اقيمت في محافظة كركوك حيث استنزفت موارد كُردية بأخرى كُردية، وهنا يجب أن لايغرب عن بالنا ما

لمياه الأمطار من دور في خلق بيئة طبيعية ساعدت على تخلخل السكن الكُردي في كركوك، لاسيما جهاتها الغربية والجنوبية، اضافة الى ايجاد نوع من النبات الطبيعي يلائم طبيعة الإقتصاد الرعوي بالدرجة الأولى. ولما كان سكان مناطق غرب نهر دجلة هم من الرعاة أصلاً، فقد إستفادوا من غياب الوجود البشري الكُردي في تلك المناطق واستغلوا ذلك لصالحهم، وبمرور الوقت أقاموا المشاريع لخدمة مصالحهم ونواياهم على الأراضي الكُردية في محافظة كركوك. واخيراً لابد من استغلال المياه الكُردية في خدمة ابناء كُردستان واقتصادهم الوطني وايجاد سياسة مائية من اجل ذلك.

انواع المياه في كركوك

تقع محافظة كركوك قبل تقطيع اوصالها بين دائرتي عرض (-٤٨ و٣٤ْ ـ -٥٤٩ ـ ٣٥)[١] شمالاً، وخطي طول (-٢٧ و٤٣ْ ـ -٤٠ و٤٥ْ) شرقاً، وتبلغ مسافة المحافظة (١٩٥٤٣)كم٢[٢]. تقع المحافظة بهذه المساحة وهذا الموقع ضمن المناطق الكُردية المعروفة باسم (ڕۆژهەڵاتی ناوەڕاست) أي المناطق الحارة كما انها لاتحوي على مرتفعات كالموجودة في باقي مناطق كُردستان بحيث تؤثر على تعديل درجات الحرارة أو على كمية الامطار الساقطة على الإقليم، وعليه نجد أن امطار كركوك اصبحت في بعض الجهات حتى غير كافية لزراعة الحنطة شتاءً، كما سنلاحظ ذلك لاحقاً. وبناء على ذلك يمكن تقسيم موارد المياه في المحافظة كالآتي:

١- مياه الأمطار

تسقط أمطار كركوك في موسم الشتاء كما هو الحال في بقية مناطق كُردستان الاخرى، وتسبب سقوط الامطار المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط، وتقع المحافظة عند الطرف الجنوبي لمرور المنخفضات الجوية لذلك تباينت الامطار من سنة لأخرى ومن مكان لآخر ضمن المحافظة بين شمالها وجنوبها وغربها وشرقها، إذ تزداد كمية الامطار من الجنوب باتجاه الشمال ومن الغرب باتجاه الشرق بسبب إزدياد ارتفاع سطح الارض. فمثلاً ان مناطق غرب المحافظة تقع ضمن ارتفاع حوالي (٣٠٥م)[٣] فوق مستوى سطح البحر، بينما كركوك الواقعة شرقاً بالنسبة للحويجة يصل ارتفاعها الى (٣٣١م)، في حين يقترب إرتفاع مناطقها الشمالية من الألف متر. ان كمية الامطار الساقطة في المحافظة يمكن ملاحظتها من خلال الجدول (١):

يتضح من خلال الجدول المذكور اعلاه انه باستثناء محطة چمچال فان باقي المحطات تعاني من عجز مائي بالنسبة للزراعة الشتوية والتي يأتي في مقدمتها محصول الحنطة الذي يعتبر من

(١) خارطة العراق الطبيعية (المظللة)، وزارة الري، المنشأة العامة للمساحة، المقياس ١:٢٠٠٠٠٠٠، بغداد ١٩٨٥.
(٢) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، جدول ١١، المجموعة الإحصائية لسنة ١٩٧١، ص١٨ - ٣١.
(٣) المناخ الزراعي في الوطن العربي، المجموعة الإحصائية - العراق، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، جامعة الدول العربية، الخرطوم ١٩٧٧، ص١٣.

جدول (١) كمية الامطار الساقطة في المحافظة للفترة (١٩٤١ ـ ١٩٨٠)[٤] ملم

المحطة	أيلول	ت١	ت٢	ك١	ك٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع
كركوك	٠,١	٥,٥	٣٦,٢	٦٠,٢	٦١,٢	٦٤,	٧٦	٥٠,٨	٢٠	٠,٣	٣٧٤,٢
چمچمال	–	٤,٢	٤٨,٦	٩٦,٥	١٢٠,٥	٩٧,١	١٠٩	٦٩,٦	٣٦,٩	٣	٥٥٨,٤
الحويجة	–	٤,٢	٢٧,٤	٤٤,٩	٤١,٤	٤٢,٩	٤٦,٨	٤٢,٥	١٤,١	٠,٢	٢٦٤,٤
طوزخورماتو	–	٣,٩	٤١,٩	٤٦,٣	٣٨,٩	٣٥,٩	٤٢,٢	٣٧,٨	١٢,٤	–	٢٥٩,٣

المحاصيل الأساسية في الإقتصاد الزراعي سواء كان ذلك في كُردستان أو العراق، وفي حالة اعتبار خط المطر (٤٠٠ ملم)[٥] خطاً جنوبياً لإنتاج الحنطة إعتماداً على الأمطار، ففي هذه الحالة سوف يتم اخراج مناطق واسعة من المحافظة خارج نطاق زراعة الحنطة المضمونة، لاسيما المناطق الواقعة ضمن سهل كركوك (حمرين) كما هو مبين في الجدول (٢):

جدول (٢) الموازنة المائية بين الاستهلاك المائي لمحصول الحنطة وكمية الامطار الساقطة (بالملم)[٦]

المحطة	ت٢	ك١	ك٢	شباط	آذار	نيسان	المجموع
الحويجة	٣–	٩,٩–	٥–	١٣,٨–	٤٠,١–	١٥,٥–	٦٧,٥–
كركوك	٠,٣+	٢٠,٦+	١٢,٧+	٣,٧+	١٤,٨+	٢١,٨+	٠,٧+

يتضح من الجدول اعلاه ان كمية الامطار الساقطة في الحويجة تعاني عجزاً كبيراً يصل الى حوالي (٧١٪) من المجموع الكلي للحاجة المائية بالنسبة لمحصول الحنطة على سبيل المثال، اما في محطة كركوك فهناك فائض نسبي ضئيل، اي ان المحطة تقع ضمن المناطق المضمونة الامطار بالنسبة لزراعة الحنطة التي تقل حاجتها للمياه في محطة كركوك. وكلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي

(٤) وزارة المواصلات، هيئة الأنواء الجوية، شعبة المناخ، إحصائيات الأمطار في محطات كركوك من (١٩٤١ – ١٩٨٠)، بيانات غير منشورة.
(٥) نافع ناصر القصاب، أقاليم الزراعة المطرية لمحصولي الحنطة والشعير في العراق في ظل المعابير المناخية، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مجلد ١٦، ١٩٨٥، ص٩.
(٦) نافع ناصر القصاب، المصدر نفسه، ص٢٦.

يساعد في قلة هذه الحاجة انخفاض درجات الحرارة شتاء وقلة التبخر وارتفاع الرطوبة النسبية في الجو وبقاء التربة رطبة لفترة زمنية طويلة اضافة الى عوامل أخرى، في حين أن التبخر يبلغ ذروته في الطرف الجنوبي الشرقي من المحافظة، حيث تزادد كمية الامطار (٢٠٠ ملم) لتصل الى (٦٠٠ ملم) عند حافة المناطق الجبلية، وتبعاً لذلك فإن النبات الطبيعي يأخذ هو الآخر بالتباين ويزداد كثافة كلما زادت كمية الامطار الساقطة، انظر خارطة (١).

إن هذه الحالة ساعدت على خلق بيئة مخلخلة سكانياً مما اتاح للآخرين من غير الكُرد التوغل في عمق اراضيهم يساعدهم في ذلك ضعف الكُرد في المنطقة ودعم الحكومات العراقية المتعاقبة للوافدين.

خارطة رقم (١) أشكال التبخر من اليابس والسطح المائي (سد حمرين)

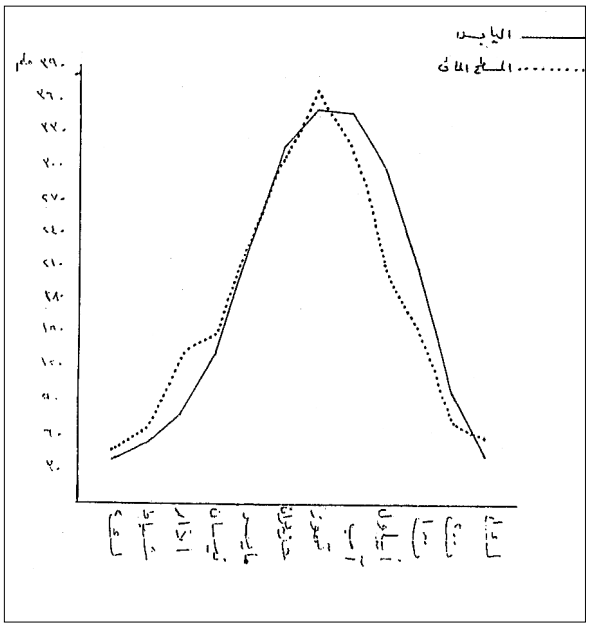

٢ــ المياه السطحية

وتتمثل بمياه الانهار الدائمة الجريان إضافة الى الوديان الفصلية التي تجري فيها المياه اثناء موسم سقوط الأمطار. إن المياه الجارية (الأنهار) تقع على أطراف المحافظة حيث كل حدودها الإدارية في مناطق واسعة، وأهم الأنهار هي:

أ ــ نهر سيروان (دولت أباد)

يقع حوض نهر ديالى بين دائرتي عرض (-٣٣ و٣٣ ــ -٥٠ و٣٥)[٧] شمالاً، وبين خطي طول (-٣٠ و٤٤ ــ -٥٠ و٤٧) شرقاً، ويبلغ إجمالي مساحة حوض نهر دولت أباد (٣١٨٩٦) كم٢[٨]، منها (٥٧,١٧٪) داخل ايران و(٨٣ و٤٢٪) داخل العراق، وعند المنابع فإن حوض النهر لايرتفع إلاّ قليلاً عن (٢٠٠٠م) فوق مستوى سطح البحر في

(٧) كاظم موسى محمد، الموارد المائية في حوض نهر ديالى في العراق وإستثماراتها، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٦، ص١٠.

(٨) ئازاد جلال شەریف، سەرچاوە و دەرامەتی ئاو، جیۆگرافیای هەریمی کوردستانی عێراق، کۆمەڵێک مامۆستای زانکو، چاپی یەکەم،١٩٨٨، ل ١٢٢.

خارطة رقم (١) خطوط الأمطار المتساوية في حوض العظيم للسنوات ١٩٥٠-١٩٨١.

المصدر: الجمهورية العراقية، وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي، الهيئة العامة للبحوث الزراعية التطبيقية، قسم الأنواء الزراعية، بغداد ١٩٨١. «غير منشورة»

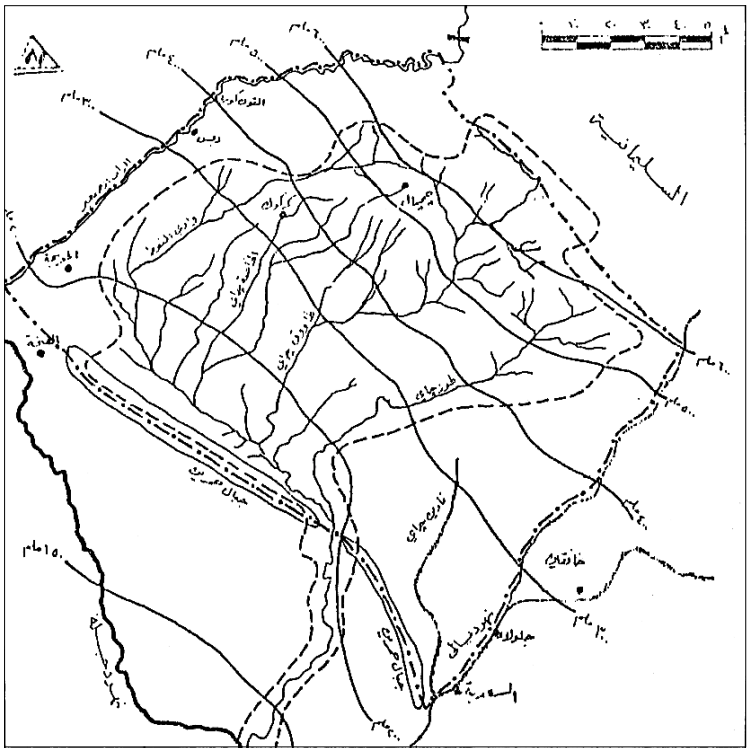

بعض المناطق، لذلك فإن الثلوج لاتتراكم على المرتفعات المحيطة بحوض النهر، والأمطار الساقطة شتاء هي مصدر التمويل الرئيس لمياه هذا النهر، أما طول هذا النهر فيبلغ ٣٨٦ كم[٩] من منبعه حتى مصبه الواقع على بعد ٣١ كم جنوب مدينة بغداد. وعند دخول النهر كُردستان العراق تصب فيه عدة روافد صغيرة منها رافد ألوند إضافة الى مجموعة روافد أخرى. أما الوارد السنوي لمياه هذا النهر فهو (٥,٧) مليار م٣[١٠]، منها (٢,٩) مليار م٣ تاتي من كُردستان ايران و(٢,٨) مليار م٣ من كُردستان العراق. وقد تم إنشاء سد حمرين على هذا النهر عند نقطة عبور النهر لتلال حمرين إضافة الى سد دربندیخان الأقدم.

(٩) مياه كردستان وآفاق المستقبل، مكتب الدراسات والبحوث المركزي، دراسة (٩)، ١٩٩٦، ص١٢.

(١٠) نجيب خروفه وآخرون، الري والبزل في العراق والوطن العربي، مطابع المنشأة العامة للمساحة بغداد ١٩٨٤ ص٢٢.